Current Studies in Nahj-ul-Balaghah Open Access

Vol. 7, No. 1, (Issue 13) Autumn & Winter 2023: 57-68
DOI: 10.30473/anb.2025.72381.1420

ORIGINAL ARTICLE

The relationship between belief in God and the enhancement of ethical principles in the teachings of Nahj al-Balagha

Ahmad Rabbanikhah[1*], Zohre Rasoliyan[2]

1. Assistant Professor of Quranic Sciences, Hadith, and Nahj al-Balagha, Payame Noor University, Tehran, Iran.
2. Master of Quran and Hadith Sciences, Payame Noor University, Tehran, Iran.

Correspondence:
Ahmad Rabbanikhah
Email: Rabbani_kh@pnu.ac.ir

Received: 28 Sep 2024
Accepted: 07 Aug 2025

How to cite
Rabbanikhah, A. & Rasoliyan, Z. (2023). The relationship between belief in God and the enhancement of ethical principles in the teachings of Nahj al-Balagha. Current Studies in Nahj-ul-Balaghah, 7(1), 57-68.
(DOI: 10.30473/anb.2025.72381.1420)

ABSTRACT

A monotheistic and belief in God perspective is an important and influential foundation for strengthening ethical principles and enhancing the cultural and behavioral level of society. If the monotheistic view is reformed and strengthened in Islamic society, it will bring about profound ethical, educational, and cultural outcomes. The esteemed book Nahj al-Balagha, which is the most agreed-upon religious text after the Holy Quran centered around Shia thought, opens a window to enlightened ideas for building human society. This research, conducted through library methods using note-taking tools and a descriptive-analytical approach, examines the connection between belief in God and the enhancement of ethical principles from the perspective of the propositions in Nahj al-Balagha. The results of the research indicate that from the viewpoint of the Commander of the Faithful (peace be upon him), belief in God is the main support of ethics and has a central impact on the commitment to ethical principles. A believer in God seeks help from the Almighty in all aspects of their life, always sees themselves in the presence of their Lord, and maintains constant vigilance. Belief in God leads to the manifestation of sincerity, inner peace, justice, freedom, humility, and modesty; because a believer in God seeks help only from God in all matters of life and places their hope in Him.

KEYWORDS

Amir al-Mu'minin, Theism, Ethical Principles, Social upbringing.

Copyright © 2023 The Authors. Published by Payame Noor University.
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/). Non-commercial uses of the work are permitted, provided the original work is properly cited.

دراسات حديثة في نهج البلاغة

السنة السابع، العدد الأول (المتوالي ١٣) خريف و شتاء، ١٤٠٢ش/ ١٤٤٥ق. (٦٨-٥٧)

DOI: 10.30473/anb.2025.72381.1420

«مقاله پژوهشی»

علاقة الإيمان بالله وتعزيز المبادئ الأخلاقية في تعاليم نهج البلاغة

احمد رباني خواه[1*]، زهره رسوليان[2]

١. أستاذ مساعد في علوم القرآن والحديث ونهج البلاغة بجامعة پيام نور، طهران، إيران.

٢. ماجستير في علوم القرآن والحديث بجامعة پيام نور، تهران، إيران.

المؤلف المسؤول:

احمد رباني خواه

بريد االكتروني: Rabbani_kh@pnu.ac.ir

تاريخ القبول: ١٤٤٥/١٠/٣٠

تاريخ الاستلام: ١٤٤٧/٠٢/١٣

إرسال الاستشهاد إلى:

رباني خواه، احمد و رسوليان، زهره. علاقة الإيمان بالله وتعزيز المبادئ الأخلاقية في تعاليم نهج البلاغة. *دراسات حديثة في نهج البلاغة*، ٧(١)، ٦٨-٥٧.
(DOI: 10.30473/anb.2025.72381.1420)

المخلص

النظرة التوحيدية والإيمان بالله تشكلان أساسًا مهمًا وفعالًا في تعزيز المبادئ الأخلاقية ورفع المستوى الثقافي والسلوكي في المجتمع. إذا تم إصلاح وتعزيز النظرة التوحيدية في المجتمع الإسلامي، فإنها ستجلب نتائج أخلاقية وتربوية وثقافية عظيمة. كتاب نهج البلاغة الشريف، الذي يُعتبر بعد القرآن الكريم من أكثر النصوص الدينية توافقًا حول الفكر الشيعي، يفتح نافذة نحو أفكار مضيئة في بناء المجتمع البشري. هذه الدراسة، التي تمت بأسلوب المكتبة باستخدام أدوات تسجيل الملاحظات وبالطريقة الوصفية التحليلية، تبحث في العلاقة بين الإيمان بالله وتعزيز المبادئ الأخلاقية من منظور نصوص نهج البلاغة. تشير نتائج الدراسة إلى أن من وجهة نظر أمير المؤمنين (ع)، الإيمان بالله هو الدعامة الأساسية للأخلاق وله تأثير محوري في تعزيز الالتزام بالمبادئ الأخلاقية. الإنسان المؤمن بالله يطلب العون من الله سبحانه وتعالى في جميع أمور حياته، ويرى نفسه دائمًا في حضرة ربه ويكون في حالة مراقبة دائمة. الإيمان بالله يؤدي إلى تجلي الإخلاص، والهدوء القلبي والروحي، والعدالة، والحرية، والتواضع، والخضوع؛ لأن الإنسان المؤمن بالله يطلب العون من الله وحده في جميع أمور حياته ويعتمد عليه.

الكلمات الدليلية:

أمير المؤمنين، الإيمان بالله، المبادئ الأخلاقية، التربية الاجتماعية.

حق نشر هذه الوثيقة يعود لمؤلفيها.١٤٤٥. ناشر هذه المقالة هو جامعة پيام نور.

تم نشر هذه المقالة بموجب الشهادة التالية ويسمح بأي استخدام غير تجاري لها بشرط االستشهاد بالمقالة بشكل صحيح وبما يتوافق مع الشروط المذكورة في العنوان أدناه.

Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)

مقدمة

في التعاليم الإسلامية، يعتبر تحلي الإنسان بالصفات الأخلاقية الحميدة هدفاً أساسياً، حتى أن الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) قد صرح بأن نشر الفضائل الأخلاقية هو هدف رسالته السامية. وفي توجيهات وأقوال وكتابات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والتي وصل إلينا بعضها في كتاب نهج البلاغة الشريف، تم تبيين مكانة ووظيفة ومختلف الأصول الأخلاقية بأسلوب جميل. وفي كلامه، يتبوأ الالتزام بالقيم الأخلاقية مكانة مهمة وبارزة، وقد تم الاهتمام بالأصول الأخلاقية من جوانب مختلفة، فردية واجتماعية ومهنية وتطبيقية، وكذلك العوامل المؤثرة عليها (صفائيان وآخرون، ١٣٩٢: ٣٤).

من بين الموضوعات الهامة للغاية التي يجب إيلاء الاهتمام الواجب بها في مجال الأخلاق هي العوامل المؤثرة على الأخلاق. أي ما هي العوامل التي تجعل المبادئ الأخلاقية تظهر في سلوكنا بشكل أكبر. أحد العوامل المهمة والمؤثرة في الالتزام بالمبادئ الأخلاقية هو التوحيد. يواجه الإنسان في حياته باستمرار عوامل تبعده عن ذكر الله تعالى. يمكن إرجاع السبب الرئيسي لغفلة الإنسان عن ذكر الله إلى نسيان الله، وهدف الخلق، والغفلة عن الذات (مظاهري وآخرون، ١٣٩٣: ١٥). الإنسان بفطرته محب للفضائل الأخلاقية وكاره للرذائل. الإيمان بالله هو سند للأخلاق ويؤدي إلى التزام الإنسان بالمبادئ الأخلاقية، ويمنح الإنسان قوة التحمل والصبر في مواجهة الحرمان والضغوط الاقتصادية والمادية. المؤمنون بالله يتصرفون بأخلاق في جميع المجالات والاتصالات الفردية والعائلية والاجتماعية. إنهم يؤمنون بشيء أعلى من العالم المادي يضفي قيمة وأهمية على كل شيء. الإيمان بالله يقوي الحس الإنساني والشعور بالمسؤولية، ويؤدي إلى التمسك بالسلوكيات الأخلاقية والالتزام بمبادئها في التفاعلات الفردية والاجتماعية (ضيائي وآخرون، ١٣٨٧: ٦٩).

أسئلة البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة العلاقة بين الإيمان بالله وتعزيز المبادئ الأخلاقية في تعاليم نهج البلاغة، ويسعى للإجابة على السؤال التالي: ما هو أثر الإيمان بالله في الالتزام بالمبادئ الأخلاقية من منظور نهج البلاغة؟ وما هي المجالات والمظاهر التي يتجلى فيها هذا التأثير؟

منهجية البحث

هذا البحث يتبع الطريقة المكتبية باستخدام أدوات تسجيل الملاحظات وبالمنهج الوصفي التحليلي، حيث يدرس العلاقة بين الإيمان بالله وتعزيز المبادئ الأخلاقية من منظور مقولات نهج البلاغة. في هذه العملية، يتم جمع البيانات العقائدية من نهج البلاغة في المجال التوحيدي، ويُبحث أثرها في ترسيخ المبادئ الأخلاقية.

خلفية البحث

أُجريت حتى الآن العديد من البحوث في مجال الأخلاق والتربية في نهج البلاغة، ولكن لم يُرَ بحث يتناول بشكل مستقل العلاقة بين الإيمان بالله وتعزيز المبادئ الأخلاقية من منظور نهج البلاغة. ومع ذلك، عكست بعض البحوث جانباً من هذا الموضوع. ذكر يد اللهي فر وزملاؤه (١٣٩٧) في مقال "أهداف ومبادئ التربية الروحية على أساس تعاليم الإمام علي (ع) في نهج البلاغة" أن الشرط اللازم لتحقيق التربية الإلهية هو الالتزام بالتقوى، ويتطلب التعقل والتفكر والسير في الآفاق والأنفس، والسعي والاجتهاد لتطهير النفس من الصفات الرذيلة الأخلاقية والتزين بجميع الصفات الحميدة الأخلاقية. وفي مقال "تحليل لمكونات الروحانية والأخلاق في سيرة القيادة العسكرية للإمام علي (ع) في نهج البلاغة"، اعتبر جعفري وزارعي (١٤٠٠) أن النقطة المحورية لثقل الروحانية والأخلاق هي الاعتقاد بالله الواحد، ونتيجة لهذا الاعتقاد الأصيل، فإن المبادئ الروحية للإمام علي (ع) في مجال القيادة العسكرية تشمل: التوحيد، والإيمان بالمعاد، والولاء.

مكانة الإيمان بالله في أسلوب حياة الإنسان

كيفية إدراك الإنسان لله له دور محوري في اختيار أسلوب حياته. إن معرفة الله ليست مجرد مسألة ذهنية، بل إن طريقة أداء الإنسان وسلوكه ترتبط ارتباطًا مباشرًا بمعرفته بالله. الإيمان بذات الله الواحد القادر الصمد، يسبب تحولًا عميقًا في جميع أبعاد حياة الإنسان، ويجلب له النمو والارتقاء. الله مراقب لجميع أعمال الإنسان في جميع الأوقات، ولا يخفى عليه شيء: «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَ نَهَارِهِمْ، لَطُفَ بِهِ خُبْراً، وَ أَحَاطَ بِهِ عِلْماً» (الخطبة: ١٩٩)

إن علم الإنسان برعاية الله الدائمة ومراقبته الدقيقة لحياته له آثار متنوعة:

١. مع العلم بهذه المراقبة الدقيقة، يسعى الإنسان إلى عدم الميل نحو المعصية والذنوب.

٢. أيضًا، في المصائب والمشاكل الدنيوية، وجود الله بجانبه يمنحه الاطمئنان ويزيل عنه الهموم. وهذا ليس إلا ان الإنسان بهذه النظرة يرى جميع مشاكل حياته في اتجاه قضاء الله وقدره، وبوصوله إلى مقام الرضا والتسليم، يشكر الله المتعال. يقول مولى المتقين علي (عليه السلام) في هذا الموضوع: «أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَ قَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ وَ عَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ.» (الخطبة: ١٨٠)

٣. يُسلّم تسليمًا كاملاً لقدرة الله المطلقة وينقاد لها، ويؤمن إيمانًا تامًا بأنه: «لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَالْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.» (الخطبة: ٨٦)

٤. وبهذا الاعتقاد، قوي توكله عليه، ولا يستعين إلا بذاته المقدسة، وينصرف قلبه عن الأسباب المادية: «وَ نَسْتَعِينُهُ بِهِ اسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَ الْقَوْلِ.» (الخطبة: ١٨٢)

مع أن هذا الاعتقاد وتبعاته في حياة الإنسان، فإنه يترفّع عن أموال وممتلكات الآخرين، ولا يرى النفع والضرر إلا من جانب الله وحده، ولا يعتبر أي مخلوق مستقلاً بالنفع والضرر بذاته دون مشيئة الله. ومما لا شك فيه أن من يعيش حياة هادفة ويعتمد على الله سبحانه وتعالى يختلف اختلافاً كبيراً عمن يرى أن خلقه عبثاً وبلا هدف. فالاعتقاد بهدفية الخلق يلعب له دورٌ هامٌ في توجيه أخلاق الإنسان: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ، فَمَا خُلِقَ امْرُؤٌ عَبَثاً فَيَلْهُوَ، وَ لَا تُرِكَ سُدًى فَيَلْغُوَ» (الحكمة: ٣٧٠)

الإنسان الهادف يعزز في نفسه الصفات الأخلاقية الحميدة مثل الأمل بالله، الجهد والمثابرة، التفاؤل، احترام الذات، التوكل، الإيثار، وغيرها، أما الإنسان الفارغ فيسعى وراء صفات مذمومة مثل اليأس والقنوط، القلق، الخوف، الجحود، وغيرها (طيب نيا ورنجكش أدرمنابادي، ١٣٩٥: ١١٥).

إذا آمن الإنسان بالله تعالى إيمانًا صحيحًا وشعر بحضوره الدائم في حياته، ورأى نعمه الواسعة في جميع جوانب حياته، فسوف يستسلم تمامًا أمام عظمة الله التي لا نهاية لها. هذا الإنسان يتخذ أقوى ملاذ له، ويصل إلى الراحة الحقيقية، ولن يلوث مقام عبادته بالقوة والتكبر وسائر الرذائل الأخلاقية، وسيكون ساعيًا إلى كماله في طريق عبادة الله المفضي إلى السعادة. «وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ» (الخطبة: ١٨٥)

تأثير الإيمان بالله في التحلي بالفضائل الأخلاقية

فكرة التوحيد والإيمان بالله تصلح جميع أبعاد وجود الإنسان، والإيمان بوحدانية الله يشكل أساس الكمال والسعادة للإنسان (دلشاد تهراني، ١٣٧٨: ٢٧٧) .المعرفة القائمة على التوحيد والإيمان بالله تؤثر بشكل مباشر في إزالة الصفات السيئة الأخلاقية والزينة بالصفات المحمودة من الأخلاق. التدبر في أقوال الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة يوضح جيداً هذا الأثر البالغ، وسنشير إلى بعض هذه الأقوال في هذا القسم، ثم ننتقل إلى تأثير الإيمان بالله كأحد مكونات الروحانية في تعزيز الالتزام وأداء بعض الفضائل الأخلاقية .في الرسالة رقم ٥٣، يرى الإمام (عليه السلام) أن سوء الظن بالله تعالى سبب للخوف والبخل والطمع، ويقول: «فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ». وبحسب قول الإمام علي (عليه السلام)، يجب على الإنسان أن يبحث عن الشخصية والعزة فقط في التقوى الإلهية،

أي ترك المحرمات وأداء الفرائض: «وَلَا عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى». (الحكمة: ٣٧١) معرفة الله تعالى والإيمان القلبي بوحدانية الله جل وعلا تجعل الإنسان متزينا بمقام الحمد والثناء الإلهي: «وَهَذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ وَلَمْ يَرَ مُسْتَحِقّاً لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَمَادِحِ غَيْرَكَ» (الخطبة: ٩١) ومن البديهي أن الإنسان الذي يعتبر الله وحده هو الفاعل في العالم ويحصر الحمد والثناء في ذات الله القدوس، سيكون بعيداً عن التذلل والتملق أمام قوى الدنيا الزائلة. الإيمان بالله هو أصل فضائل كالثقة والاعتماد على الله والتوكل والتوسل، إذ أن كل هذه الأمور تعود إلى خلق الإنسان من قبل الله وصفته كرازق: «فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ» (الرسالة: ٣١) وفي كلام الإمام علي (عليه السلام)، الاعتقاد والإيمان بوجود الله القدوس وأداء العبادات لتحصيل رضى الله وإقامة الفروض كالصلاة والجهاد والصيام والزكاة، يدخل الإنسان في حصن الله الحصين، ويمهد الطريق لظهور العديد من الفضائل في سلوك الإنسان وأخلاقه، كما يقيه من العديد من الرذائل ويحث على تركها.

الإيمان بالله والإخلاص

من القيم الأخلاقية المهمة التي أكد عليها القرآن الكريم والآثار النبوية كثيرًا هو الإخلاص. الإخلاص يربط حياة الإنسان من عالم الناسوت إلى عالم الملكوت، ويرفع سماء فكر الإنسان الموحد والمتفكر إلى مقام عبادة المعبود. حقيقة الإخلاص هي براءة الشيء من كل دنس، ونقاؤه وصفائه وخلوه من الزيف (ابن فارس، ١٤٠٤هـ، ج٣: ٢١٥). موضوع الإخلاص لا يحمل معنى إلا في الاعتقاد التوحيدي، ولا يجد مسألة الإخلاص ونبذ الرياء والتظاهر أهمية كبيرة في المدارس غير التوحيدية، لأن فهم هذه القضية وقيمتها يرتبطان بالله سبحانه وتعالى. على ما نُقِل من الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، إن الإخلاص يظهر في الإنسان عندما يعلم أن الله العالم بخفايا داخل وخارج الإنسان: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ» (الخطبة: ٤٩) ومن البديهي أن الله العليم بخفايا الإنسان مطلع أولى وأعلم على ظواهره كذلك (الخويي، ١٤٠٠هـ، ج٤: ٢٧٥). الاعتراف بعلم الله المطلق بأحوال الإنسان بلا شك يدفع الإنسان للسعي في إصلاح أخلاقه وأفعاله. فالإنسان الذي يرى الله شاهداً وحاكماً على أعماله في كل وقت، يمتنع عن ارتكاب المعاصي في خلوته بلا شك: «اتقوا معاصي الله في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم» (الحكمة: ٣٢٤). وإذا لم يدرك الإنسان أن الله ناظر إلى أعماله، فإنه مع مرور الوقت سينزلق نحو الرياء والتكبر، ثم يلوث عمله بالسماع والتظاهر، ويتورط في باقي الذنوب. يجب على الإنسان أن يجعل الله أقوى وأوثق ملجأ له، وأن يطلب الإخلاص في حضرته بالدعاء لتجنب هذا المأزق الخطير، لأن كل شيء بيده القوية: «أخلص في المسألة لربك فإن بيده العطاء والحرمان». (الرسالة: ٣١) بناءً على هذا القول للإمام عليه السلام، يجب على الإنسان في دعائه وطلبه أن يتوجه فقط إلى الله سبحانه وتعالى، لأن إخلاص النية من شروط قبول الدعاء. وقد رفع الإمام مكانة الإخلاص بقوله: فالعطاء والمنع، والكرم والمحرم، كلها بيد الله وحده، وعلى الإنسان أن يزداد حرصاً على ذكر الله وألا يشغله تفكيره بغيره (البحراني، ١٣٦٢هـ، ج٤: ٩٨).

في الفكر العلوي، الإيمان بالله، الانتباه لرقابة الله المستمرة على أعمال الإنسان، الإيمان بالقدرة المطلقة لله تعالى، عدم ديمومة الدنيا، كون الله سبحانه وتعالى سبب الأسباب، الانتباه لتأثير الأعمال والسلوك البشري على المدى الطويل في الحياة، ذكر الموت، بطلان أعمال المنافقين والمتظاهرين، وكل ذلك يؤدي إلى التوجه نحو الإخلاص والابتعاد عن رذيلة الرياء والسمعة.

الإيمان بالله وراحة القلب

من أهم وأدق أبعاد الإنسان فى الوجود، هو البُعد الروحي، والذي يُشار إليه في آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بالقلب. ولهذا، عندما يُقال تأثيرات القلب، يُقصد بذلك كل ما يسبب تغيراً وتحولاً في الحالة الروحية لكل إنسان. وتكفي أهمية وحساسية هذا البُعد من أبعاد وجود الإنسان أنه مركز انتباه الإنسان، بمعنى أن كل

شيء يستقر في قلب الإنسان يجذب انتباهه نحو ذلك الاتجاه. ومنطق القرآن الكريم يبيّن أن القلب هو موطن استقرار الإيمان في نفس الإنسان: «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (الحجرات: ١٤).

يعتبر الإمام علي (عليه السلام) القلب موطنًا لعدد كبير من الصفات الأخلاقية المحمودة والمذمومة. ويرى أن صفات مثل الرضا، الأمل، القناعة، وغيرها توجد في القلب. وبناءً على ذلك، فإن إصلاح الأخلاق من خلال تطهير القلب من الغلو والتفريط يعد أمرًا ضروريًا.

«لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هَذَا الْإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ وَ [هُوَ] ذَلِكَ الْقَلْبُ، وَ ذَلِكَ أَنَّ لَهُ مَوَادَّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَ أَضْدَاداً مِنْ خِلَافِهَا؛ فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ، وَ إِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ، وَ إِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ، وَ إِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ، وَ إِنْ أَسْعَدَهُ [الرِّضَا] الرِّضَى نَسِيَ التَّحَفُّظَ، وَ إِنْ غَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ، وَ إِنِ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْرُ اسْتَلَبَتْهُ الْغِرَّةُ، وَ إِنْ أَفَادَ مَالًا أَطْغَاهُ الْغِنَى، وَ إِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الْجَزَعُ، وَ إِنْ عَضَّتْهُ الْفَاقَةُ شَغَلَهُ الْبَلَاءُ، وَ إِنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ [قَعَدَتْ بِهِ الضَّعَةُ] قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ، وَ إِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ الْبِطْنَةُ؛ فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ وَ كُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِد. (الحكمة: ١٠٨)

في عالم اليوم الذي يعتبر القلق والهم أكبر مرض فيه، الإنسان الملحد هو كائن تائه يبحث دائمًا عن ملاذ يستند إليه. الوصفة الوحيدة الشافية للإنسان هي الإيمان والتقوى وذكر الله، لأن الله وحده هو مُقَلِّب القلوب والملجأ الآمن للمضطرين الحقيقيين. ذكر الله، سواءً كان بلسان أو بقلب أو بعمل، سبب في طمأنينة القلب وراحة النفس، إذ يجعل الإنسان يصل إلى هذا الإيمان القلبي بأنه مرتبط بقوة خارقة وفائقة على الخيال البشري، وهذه القوة هي ملجأه (خميني، ١٤٠٠، ج١: ٣٢٠). كما قال عليه السلام: «الِاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ وَ أَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ». (الرسالة: ٣١)

من نتائج الذكر المستمر لله تعالى إزالة الصدأ والنجاسات من القلب والتحرر من القسوة والضغينة، لأن ذكر الله كالنور الذي يُضيء القلب. الاستمرار في ذكر الله يؤدي إلى التماس والاستئناس بحضور الحق، ومع إشراق النور الإلهي على القلب تزول كل المخاوف والقلق من النفس. لا توجد قوة تريح الإنسان في الشدائد والمصائب مثل ذكر الله وتجعله ثابتاً. قول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أيد هذا الاطمئنان: «لا يرجوَن أحدٌ منكم إلا ربَّه» (الحكمة: ٨٢)

الإنسان الذي يعتمد على الله، ما له من خوف من تغير الأحوال والظروف وتقلبها. الاتكال على ذات الله الطاهرة، جامع كل صفات الكمال في الإنسان، لا يترك مجالًا للحزن أو الأسى. ولهذا السبب، يرى إمام العارفين أن أفضل ملجأ ومأمن هو الله الواحد: «أَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ وَمَانِعٍ عَزِيزٍ.» (الرسالة: ٣١)

الإيمان بالله والتمسك بالعدل

إنّ استباق العدالة والسعي لتحقيقها في الشريعة الإسلامية يُعتبر من أهداف بعثة الأنبياء: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ» (الحديد: ٢٥)

مع الأخذ في الاعتبار المكانة الفريدة للعدل في أقوال وأفعال المعصومين، ولا سيما أمير المؤمنين (عليه السلام)، إن المحور الأساسي لكلمات الإمام (عليه السلام) في الشأن الاجتماعي والسياسي هو توسيع نطاق العدل على المستويين الفردي والاجتماعي. في الخطب والرسائل المختلفة لنهج البلاغة، تم التأكيد بشكل كبير على محاربة الظلم وتحقيق العدل في المجال الاجتماعي.

«فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَ أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وَ ابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَ آسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَ النَّظْرَةِ حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ وَ لَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ». (الرسالة: ٢٧)

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْوَالِيَ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيراً مِنَ الْعَدْلِ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ». (الرسالة: ٥٩)

في هذه الرسالة، أوصى الإمام (عليه السلام) قائد جيش حلوان في أرض فارس بأنَّه متى ما تغلّب الهوى على الوالي فإنه يمنعه من الالتزام بالعدل والإنصاف. مصدر هذا الهوى بين أمراء العرب هو التعصب الجاهلي العربي الذي أبطل الإسلام وجوده، لكنه ظهر مجددًا بعد النبي (ص) مع نفوذ بني أمية في هيكل الحكم الإسلامي في الشام والعراق. الإمام في هذه الرسالة يحذر هذا القائد تحذيرًا شديدًا من أنواع الظلم والتمييز بين العرب والعجم (الخويي، ١٤٠٠، ج٢٠: ٣٤٨). المقصود بالعدل في هذا السياق هو العدل الفردي. العدل في كلام مولانا علي (عليه السلام) استُعمل في خمسة معانٍ كما يلي: ١. وضع كل شيء في موضعه الصحيح؛ ٢. الإنصاف والعدل؛ ٣. المساواة والتكافؤ؛ ٤. مراعاة الحقوق وإيصال كل ذي حق إلى حقه؛ ٥. الاعتدال والتوسط. (دلشاد، ١٣٧٨: ٧-١١) العدل بكل معنى من هذه المعاني مرتبط بالإيمان بالله، والإيمان بالله يؤثر عليه تأثيرًا مباشرًا. فالله تعالى هو العادل المطلق، وهو المطلق في العدل كما قال الامام على (عليه السلام):

- «الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ وَ الْغَالِبِ جُنْدُهُ وَ الْمُتَعَالِي جَدُّهُ؛ أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ التُّؤَامِ وَ آلَائِهِ الْعِظَامِ، الَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا وَ عَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى وَ عَلِمَ مَا [بِمَا] يَمْضِي وَ مَا مَضَى». (الخطبة: ١٩١)
- «وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ وَ حَكَمٌ فَصَلَ» (الخطبة: ٢١٤)

في حضرة الله الواحد، قلة من الذنوب كالظلم والجور وتجريد حقوق الضعفاء والمحرومين تسبب العذاب السريع ونزع النعمة: «وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ. وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ». (الرسالة: ٥٣)

من البديهي أن الله سبحانه وتعالى، الذي هو العدل والعدل المطلق، يحب العادلين والقائمين ضد الظلم، ويكره الظالمين: «إن الله يحب العدل في عباده ويبغض الجور»، (ابن أبي الحديد، ١٤٠٤، ج١١: ٩٨). يجب على الإنسان للوصول إلى الإيمان بالله والسير نحو العدالة الفردية أن يولي اهتمامًا لقوة الله اللامتناهية، والنظام الفريد الحاكم على الكون، والفهم لقبح الذنوب، ووضع نفسه في موقف الآخرين. لأنه عندما يؤمن الإنسان بالله العادل، يسعى لأن يتحلى بصفاته الحسنة مثل العدل، ويبعد هواه عن نفسه.

الإيمان بالله والتحرر

في التعاليم الإسلامية، التواضع والخضوع أمام غير الله يعتبران خطيئة عظيمة تُسمى الشرك. وبالطبع، الاستعانة وطلب العون مع الاعتقاد بالاستقلال في التأثير يُعد من الشرك وقد وُضع في موضع الذم. الحرية الحقيقية للإنسان تتحقق بحضوره في الملجأ الآمن الإلهي والحصن القوي للتوحيد والتحرر من عبودية الشيطان الرجيم. كل من يجعل الله تعالى وليه وناصره يتحرر من قيود عبودية الشيطان المطرود، ويدخل في القلعة المتينة للولاية الإلهية: «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ* إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ». (النحل: ١٠٠-٩٩).

يُعزو أمير المؤمنين (عليه السلام) سبب حرية الإنسان إلى عبوديته أمام الله تعالى، ويقول: «وَ لَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَ قَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرّاً». (الرسالة: ٣١) وكذلك في موضع آخر قال: «الناسُ كُلُّهُم اَحرارٍ اِلاّ من اَقَرَّ على نفسِهِ باالعبوديةِ». (الحر العاملى، ١٤٠٣ق، ج٣: ٢٤٣)

يُشير الإمام (عليه السلام) مع التأكيد على الحرية الشخصية لجميع البشر إلى أن العبودية الفردية والاجتماعية للناس، والانكسار والقبول بالظلم، يعود إلى أنفسهم، وفي الواقع كل إنسان هو الذي يختار أن يكون كذلك أو لا. إذا أظهر الناس الشجاعة والكفاءة ودافعوا جيدًا عن حقوقهم، فلن يتمكن الآخرون من استعبادهم أو الاستيلاء على أرواحهم وأموالهم ووطنهم. «أَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ وَ مَانِعٍ عَزِيزٍ». (الرسالة: ٣١).

بناءً على آيات القرآن الكريم والأحاديث، يمر مسار الحرية لدى قادة الدين عبر طريق العبادة والتوحيد. إذا رغب الإنسان في

اختيار هذا الطريق الآمن وجعل فلسفة حياته عبادة الله تعالى والتحرر من عبودية واستعباد غير الله، فعليه أن ينظم أفعاله وسلوكه وأسلوب حياته بمحور الله تعالى، وأن يكون التوحيد هو الدليل الأساسي له في حياته.

الإيمان بالله والتواضع

ما يُساعد على تنمية التواضع والورع في طبيعة الإنسان هو الإيمان بعظمة الله سبحانه وتعالى، ذلك الإله الذي في قمة العظمة والكبرياء: «أَحْمَدُهُ شُكْراً لِإِنْعَامِهِ وَ أَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ، عَزِيزَ الْجُنْدِ، عَظِيمَ الْمَجْدِ». (الخطبة:١٩٠)

عندما يؤمن الإنسان بعظمة وجلال الله ويتيقن أن ذات الله القدوس هو السبب الوحيد المستقل الفعال في الكون، وأن كل ما عدا ذلك مرتبط به، فإن هذا اليقين يؤدي إلى نشوء معرفة صافية في وجود الإنسان، فيسعى لتنقية وجوده من كل أنواع الشرك الظاهرة والباطنة. في ظل هذا الإيمان التوحيدي، تظهر فيه صفات حسنة مثل الخشوع والخضوع، والإحساس بالحاجة أمام الغني المطلق، والحيوية والنشاط، والتواضع، وينأى بنفسه عن صفات مذمومة كالكبرياء وعظمة النفس، والخوف والقلق، والعصيان... لأن لهذه الفضائل جذور في المعرفة والإدراك، كما أنها منهج لصفات الرذيلة المرتبطة بجهل معرفة الله سبحانه وتعالى، وإلا كيف لإنسان محتاج وضعيف من كل ناحيه أن لا يتواضع أمام الله القادر المتعال. (جعفري، ١٣٩٩، ج١١: ١٨٩)

«فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ وَ تَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَ أَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ وَ فِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ وَ لَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ». (الخطبة: ٢٢٣). الخطبة ٢٢٣ خطبة غنية بالمضمون، تُفسر في الحقيقة الآية الشريفة: «يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ». (الانفطار، ٦) في هذا المقطع من الخطبة، يشير الإمام (عليه السلام) إلى هذه النقطة أن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية يقول: لقد أكرمك الله كثيرًا، من رأسك إلى قدميك، مليئًا بنعم الله المختلفة الروحية والمادية، أنت أيها الكائن الرحيم، ومع ذلك ما زلت متكبرًا، مغرورًا وعاصيًا! لا تُقبل منك أي مبررات ولا تملك أي عذر وعملك يدل على أنك لم تعرف نفسك ولا ربك أبدًا» (المكارم الشيرازي، ١٣٩٧، ج٨: ٣٧٠).

بناءً على هذا القول للمولى (عليه السلام)، فإن معرفة الله تعالى ومعرفة النفس تؤدي إلى تعزيز روح التواضع والانكسار في الإنسان. وفي قول آخر، يؤكد الإمام (عليه السلام) على أن تواضع المؤمن يتحقق في ظل معرفة الله سبحانه وتعالى: «إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ وَ جَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذَلِكَ كُلُّ مَا سِوَاهُ». (الخطبة: ٢١٦).

في مقابل الصفات المحمودة مثل التواضع والانكسار والخضوع والخشوع، يقع الإنسان في صفات مذمومة مثل الغرور والعجب والتكبر. ومن الرذائل الأخلاقية التي حُرمت بشدة في التعاليم الإسلامية، لكنها مع ذلك تظهر بين الناس، صفة التكبر التي هي صفة مختصة بذات الله المتعال: «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ». (الحشر: ٢٣) أمير المؤمنين (ع) يرى الكبرياء مخصصاً لذات الله المقدسة: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَ الْكِبْرِيَاءَ وَ اخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَ جَعَلَهُمَا حِمًى وَ حَرَماً عَلَى غَيْرِهِ وَ اصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ، وَ جَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ، ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ». (الخطبة: ١٩٢)

في هذه الخطبة، ندّد (ع) بكبرياء النفس والعظمة والنتائج السلبية التي تترتب عليهما بشدة، والتي هي في واقع الأمر تجاهل للحقائق وتحامل أعمى وجاهل تجاه ما هو غير الله، ليمنح بذلك درسًا لكل البشر بأن يتخلوا عن الغرور والكبرياء، وأن يتحلوا بالتواضع واللين في مواجهة ذلك. في هذه الخطبة، اعتبر الإمام (ع) الكبرياء والعظمة صفات خاصة لله تعالى، وحرم الكبرياء لغير الله ونها عنه. بعدها، روى قصة تمرد إبليس وتكبره، مذمًّا إياه، مبينًا أن سبب رفض الشيطان وطرده من عند الله تعالى كان تكبره، وهو السبب الذي دعا كل الأنبياء إلى لعنه. وعليه، طلب من الناس أن يبتعدوا عن الشيطان الرجيم وأن يحذروا من هذه

الصفة القبيحة والمؤذية – الغرور والتكبر – التي أدت إلى شقاء الشيطان وخسارته. لذا، فإن الغرض الأساسي من هذه الخطبة المليئة بالمواعظ هو ذم صفة الغرور والتكبر وحرمة التكبر على النفس (بحراني، ١٣٦٢، ج٤: ٤٠٣) .ومن دقة كلمات المولى(ع) يتبين أن مصدر التكبر والغرور الشنيع هو الغفلة عن عظمة وخلافة الخالق الأحد، وعدم المعرفة الصحيحة بالله تعالى. وفي بعض الحالات، يؤدي كثرة النعم وثروة بعض الأشخاص، مثل قارون، إلى تمردهم على القادر المتعال. فالإنسان الغافل، المغمور بالثروات والوسائل، يعتقد بعظمته وتفوقه، ويغفل عن ضعفه واحتياجه وعيوبه، حتى يصل تدريجيًا إلى مرحلة لا يرى فيها أي نقص في نفسه يحتاج إلى علاج. وبناءً على ذلك، يقف معادياً للحق، ويرفض الحق، ويترسخ فيه روح الغرور والتفرد، بحيث يصل إلى حالة توهم الألوهية ويسقط سقوطًا تامًا. (مظاهري، ١٤٣٢، ج٢: ٨٥) طريق النجاة من الغرور والأنانية فهو الإيمان بالله والتفكر في عظمة وقدرة وجلال الله تعالى. فعندما يتأمل الإنسان آلاف الظواهر التي لا يهيمن عليها بأي وجه من الوجوه، يدرك ضعفه واحتياجه، ويندفع عن العناد والغرور. وأشار الإمام علي (ع) إلى هذا الحل في الرسالة رقم ٥٣ من نهج البلاغة: «وَ إِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ وَ قُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ وَ يَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ وَ يَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ». (الرسالة: ٥٣)

ان علاج رذيلة الكبر والغرور في فكر المولى (عليه السلام) هو بمشاهدة آثار عظمة وجلال الله والتوجه نحو الحاجة والفقر المطلق أمام الله. بهذا التدبر ومشاهدة عظمة الله واحتقار النفس أمام جلالته، يتخلق الإنسان شيئًا فشيئًا بالصفات المحمودة كالخشوع، التواضع، الخشية، التأمل، الطمأنينة القلبية، العفة والطهارة، التوكل، الصبر وعشرات الصفات الحسنة الأخرى، لأن جذور هذه الصفات الجميلة تكمن في الخضوع والتواضع أمام الذات المقدسة لذات الحق سبحانه وتعالى، كما أن الكبرياء والغرور هما جذور كل الرذائل والصفات القبيحة.

الإيمان بالله و الرجاء

«الأمل» و«الرجاء» في رحمة الله لامتناهية من أركان الدين الإسلامي الأساسية. إن الأمل في الله الرحمن الرحيم يزيل الكسل والضعف عن الإنسان والمجتمع، وينشر الحيوية والنشاط في المجتمع (خاكبور وزملاؤه، ١٣٩٢: ٦١).

الإنسان بحاجة إلى معرفة صحيحة وكاملة عن ربه لتحقيق حياة أفضل. الذين يتصورون رب العالمين بتصور ضيق وجهلي، يقيدون رحمة الله ويجعلون الله الكريم كحاكم غاضب يترصد العباد للعقاب عند أدنى خطأ. أما الذين يعبدون الله بمحبة وفهم صحيح، فيجدون رحمته واسعة، فهو الملاذ والناصر والمؤيد للإنسان في الشدائد. الإمام علي بن أبي طالب (ع) لتعزيز هذا المنظور، في الرسالة ٣١ من نهج البلاغة إلى الإمام الحسن (ع)، يبدأ أولا بالإشارة إلى عظمة وقوة الله اللامحدودة، ثم يذكر سهولة التواصل مع هذه القوة لا متناهية: «وَ اعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وَ تَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ وَ أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَ تَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ. (الرسالة: ٣١)

بعد هذا الجزء من رسالة، أشار الأمير (عليه السلام) إلى اتساع رحمة الله، يزيل اليأس والقنوط، ويستند إلى توبة الله القبولية لإظهار وسعة رحمته، ثم يطرح بشرى لكي يتحرك الإنسان بشوق نحو حضرة الحق من خلال معرفة رحمة الله تعالى. عندما يكون الإنسان واعياً بأن لديه رباً رحيماً وكريماً بيده مفاتيح تحقيق كل رغباته، سواء كانت روحية أو مادية، فإنه يرفع يده بالاستعانة إلى مقام هذا الرب. الإنسان المؤمن بتأثير مشيئة الله الحكيم دون عائق سيكون لديه إيمان راسخ بالله وسيعلق أمله به: «أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَ حِكْمَةٌ، وَ رِضَاهُ أَمَانٌ وَ رَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ وَ يَعْفُو بِحِلْمٍ. (الخطبة: ١٦٠)

في مقابل صفة الرجاء الطيبة والمحمودة في رحمة الله تعالى، توجد صفة اليأس من مغفرة ورحمة الله، والتي اعتُبرت من خصائص الكافرين: «يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ».

(یوسف: ٧٨) لمواجهة هذه الصفة الخبیثة ورفعها من فطرة الإنسان یجب:

١. أن یکون ذکر الله المستمر وتذکره دائمًا مشتعلاً في نفس الإنسان.

٢. التأمل یومیًا في بسائط النعمة الإلهیة. یقول الإمام أمیر المؤمنین (علیه السلام) في هذا الشأن: «الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لَا مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ وَ لَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ وَ لَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ، الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ وَ لَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ». (الخطبة: ٤٥)

في نظر الامام (ع) الإنسان الموحد بالله، بنظرته إلى القدرة التامة والمطلقة الإلهیة واهتمامه بنِعَمِه المستمرة، یَرجو رحمته الواسعة ویثق تمام الثقة في عفو الله. حسن الظن بذات الله القدوس إلى جانب العمل والجهد یمهد الطریق لتوسعة نِعَم الله الکریم. الیأس والقنوط من العفو والرحمة الإلهیة صفات للکافرین الذین یقتصرون في نظرهم على الأسباب المادیة وحدها.

الخاتمة والاستنتاجات

في منظومة الأخلاق في الإسلام، الإیمان بالله ومعرفة الله سبحانه وتعالى تحظى بأهمیة وقیمة خاصة؛ بحیث إن النظریة التوحیدیة تمثل الأساس الفکري للدین ونمط حیاة المسلم. أهمیة الإیمان بالله تصل إلى حد أنه لا یمکن اکتساب الفضائل الأخلاقیة ولا إزالة الرذائل الأخلاقیة دونها. في عبارات نهج البلاغة، الإیمان بالله هو العامل الرئیسي في إصلاح الأخلاق الفردیة والاجتماعیة وارتقائها في ظل الالتزام الکامل بالمبادئ الأخلاقیة. کل أو العدید من الصفات المحمودة الأخلاقیة تزدهر تحت ظل المعرفة التوحیدیة والإیمان الباطني العمیق بالله تعالى، والعامل الأساسي في دفع الصفات السیئة کذلك هو الإیمان بالله سبحانه. فضائل مثل الإخلاص کعنصر رئیسي في الأخلاق من وجهة نظر علي (علیه السلام)، والطمأنینة والیقین القلبي والعدل تظهر فقط في ظل الإیمان بالله في ذات الإنسان. هذا الإیمان بالله والتحرر من قیود الآلهة المزیفة هو ما یصل بالإنسان إلى مقام الحریة والإنسانیة. الخضوع أمام عظمة وجلال الله الفرید یجعل الإنسان متواضعاً ومتواضعاً حتى أمام عباد الله. الأمل في عون الله تعالى یؤدي إلى حیویة وجهد ونشاط الإنسان. بشکل عام، الإنسان المؤمن بالله والمتوکل على ذات الله الطاهرة ویحافظ على علاقته بالله یجعل ذاته وأفعاله تشبه الله ویصبح تجسیداً وتجلّیاً للأخلاق الإلهیة.

المصادر

*القرآن الکریم

*نهج البلاغة

ابن أبي الحدید، عبد الحمید بن هبة الله. (١٤٠٤هـ). ***شرح نهج البلاغة***. ضبط وتحقیق: محمد أبو الفضل إبراهیم. قم: مکتبة آیة الله المرعشي النجفي.

ابن فارس، أحمد. (١٤٠٤هـ). ***معجم مقاییس اللغة***. محقق: عبد السلام محمد هارون. قم: دفتر الدعایة الإسلامیة.

البحراني، علي بن میثم. (١٣٦٢هـ). ***شرح نهج البلاغة***. طهران: دار نشر الکتاب.

جعفري، رضا، زارعي، حبیب الله. (١٤٠٠هـ). «تحلیل مکونات الروحانیة والأخلاق في سیرة القیادة العسکریة للإمام علي (ع) في نهج البلاغة». ***مجلة الإدارة العسکریة الفصلیة***. ٢١(٨١): ٩٥-١٣٦ .

جعفري، محمد تقی. (١٣٩٩هـ). ***شرح نهج البلاغة***. طهران: دار نشر الثقافة الإسلامیة.

حر العاملي، محمد بن حسن. (١٤٠٣هـ). ***وسائل الشیعة***. تحقیق: عبد الرحیم رباني. قم: آل البیت.

خاکبور، حسین، حسومي، ولي الله، گلي، مهرناز، إیرانمنش، أسماء. (١٣٩٢هـ). «وظائف التربیة على الأمل ودورها في الصحة النفسیة من منظور القرآن». ***مجلة الأخلاق البیولوجیة الفصلیة***. ٣(١٠): ٥٩-٩٢.

الخمیني، روح الله. (١٤٠٠هـ). ***موسوعة الإمام الخمیني***. طهران: مؤسسة تنظیم ونشر آثار الإمام الخمیني.

الخویي، حبیب الله. (١٤٠٠هـ). ***منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة***. طهران: مکتبة الإسلام.

دلشاد تهراني، مصطفى. (١٣٧٨هـ). ***ماه مهر برور: التربیة في نهج البلاغة***. طهران: بیت الفکر الشبابي.

صفائیان، لیلى، علوي، شیفا، عابد، علیرضا. (١٣٩٢هـ). «مکونات اتخاذ القرار في الأخلاق الطبیة من منظور نهج البلاغة». ***أخلاق وتاریخ الطب***. ٦(٣): ٣٠-٤١.

ضيائي، محمد صادق، نرگسيان، عباس، آياغي أصفهاني، سعيد. (١٣٨٧هـ). «دور القيادة الروحية في تمكين العاملين بجامعة طهران». ***الإدارة الحكومية***. ١(١): ٦٧-٨٦.

طيب نيا، محمد صالح، رنجكش آدرمنابادي، مختار. (١٣٩٥). «دور الإيمان بالله في تهذيب الأخلاق الفردية من منظور نهج البلاغة». ***الفصلية رسالة بحثية نهج البلاغة***. ٤(١٦): ١٣٣-١١٣ .

مظاهري، حسين. (١٣٤٢). ***دراسات في الأخلاق***. أصفهان: مؤسسة الزهراء الثقافية الدراسية.

مظاهري، حسين، رحيمي، داريوش، إبراهيم بور ساماني، جمشيد. (١٣٩٧). «مكونات ومؤشرات نمط الحياة الإسلامية». ***دراسات تاريخ وحضارة إيران والإسلام***. ٢(٢): ٣٩-١٣ .

مكارم شيرازي، ناصر. (١٣٩٧). ***رسالة أمير المؤمنين (ع)***. قم: الإمام علي ابن أبي طالب (ع) .

يدالهي فر، محمد جواد، فقيهي، عليرضا، سيفي، محمد، يوسف زادة، محمد رضا، ناطقي، فائزه. (١٣٩٧). «أهداف ومبادئ التربية الروحية بناءً على تعاليم الإمام علي (ع) في نهج البلاغة». ***الفصلية رسالة بحثية نهج البلاغة***. (٢٤)٦: ١٢٠-١٠٥.

دراسات حديثة في نهج البلاغة

سال هفتم، شماره یکم، پیاپی ۱۳، پاییز و زمستان ۱۴۰۲ (۶۸-۵۷)
DOI: 10.30473/anb.2025.72381.1420

«مقاله پژوهشی»

رابطه خداباوری و ارتقای اصول اخلاقی در آموزه‌های نهج‌البلاغه

احمد ربانی‌خواه[1]*، زهره رسولیان[2]

۱. استادیار علوم قرآن و حدیث و نهج‌البلاغه دانشگاه پیام نور، تهران، ایران.
۲. کارشناس ارشد علوم قرآن و حدیث دانشگاه پیام نور، تهران، ایران.

نویسنده مسئول:
احمد ربانی‌خواه
رایانامه: Rabbani_kh@pnu.ac.ir

تاریخ دریافت: ۱۴۰۳/۰۷/۰۷
تاریخ پذیرش: ۱۴۰۴/۰۵/۱۶

استناد به این مقاله:
ربانی‌خواه، احمد و رسولیان، زهره. رابطه خداباوری و ارتقای اصول اخلاقی در آموزه‌های نهج‌البلاغه. دراسات حديثة في نهج‌البلاغة، ۷(۱)، ۶۸-۵۷.
(DOI: 10.30473/anb.2025.72381.1420)

چکیده

نگاه توحیدی و خداباوری بستری مهم و اثرگذار در تقویت اصول اخلاقی و ارتقای سطح فرهنگی و رفتاری جامعه است. اگر نگاه توحیدی در جامعه اسلامی اصلاح و تقویت شود نتایج اخلاقی، تربیتی و فرهنگی شگرفی را با خود به همراه خواهد داشت. کتاب شریف نهج‌البلاغه که پس از قرآن کریم مورد اتفاق‌ترین متن دینی بر محور اندیشه شیعی است، دریچه‌ای باز به سوی اندیشه‌های روشن در ساختن جامعه بشری است. این پژوهش به شیوه کتابخانه‌ای با ابزار فیش‌برداری و به روش توصیفی – تحلیلی، پیوند میان خداباوری و ارتقای اصول اخلاقی از منظر گزاره‌های نهج‌البلاغه را بررسی می‌کند. نتایج پژوهش گویای آن است که از دیدگاه امیرمومنان (ع) خداباوری، پشتوانه اصلی اخلاق است و تأثیر محوری در ارتقای پایبندی به اصول اخلاقی دارد. انسان خداباور در تمامی امور زندگی خویش از خداوند سبحان، یاری می‌طلبد، همواره خود را در محضر خدای خویش می‌بیند و مراقبه دائم دارد. باور به خداوند سبب تبلور اخلاص، آرامش قلبی و روحی، عدالت پیشگی، آزادگی، فروتنی و تواضع می‌شود؛ زیرا انسان خداباور در تمام امور زندگی تنها از خدا یاری می‌طلبد و به وی امید دارد.

واژه‌های کلیدی
امیر مؤمنان، خداباوری، اصول اخلاقی، تربیت اجتماعی.

حق انتشار این مستند، متعلق به نویسندگان آن است. ۱۴۰۲ ©. ناشر این مقاله، دانشگاه پیام نور است.
این مقاله تحت گواهی زیر منتشرشده و هر نوع استفاده غیرتجاری از آن مشروط بر استناد صحیح به مقاله و با رعایت شرایط مندرج در آدرس زیر مجاز است.
Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)